الحلة مستوطنة حضرية نواتها الأولى الجامعين : دراسة في تاريخ التوسع العمراني

صفاء عبد الكريم
مديرمركز وثائق ودراسات الحلة /كلية التربية/قسم الجغرافية

الخلاصة

يفهم من المدينة أنها ثلاث عناصر متفاعلة رئيسية هي :الانسان ,الطبيعة,الهيكل العمراني ,وتشكل هذه وظيفة منظمة من القوة بحيث تؤثر وتنظم منطقة أوسع من الموضع الذي تشغله ,وعلى الرغم من تعدد الوظائف فأنه يعتقد بأن الوظيفة المنظمة ذاتها هي رمزية ولذلك فأن الوظائف الدينية والمقدسة كانت مقدسة في الحضارات التقليدية والتي منها بدأت معظم المدن والمستوطنات الاخرى,وما احرى بهذا أن ينطبق على موضع الجامعين ففية تتوافر الشروط الطبيعية بارتفاع الموضع عما يحيطه وانحداره التدريجي نحو جميع الجهات خصوصا نحو النهرجاعلا الموضع حصنا وملاذا لجموع من الناس الجامعين بين العلم والعمل ,وبين العلوم النقلية والعقلية والفروعية والاصوليةأو الجامعين بين علوم الشريعة وسلوك الطريقةوشهود الحقيقة .البحث هنا يناقش لفظة الجامعين وتسمياتة وغموضة وملابساته وامتداده ,كما يعطي صورة عن مكانة الجامعين قبل الحلة ويفتح النقاش حول من سكن الجامعين ومستوى ساكنيهاوهل أنهم من ذوي الاراء والافكارالتي تتعارض مع سلطة الخلافة وقتها,وهل أستفاد صدقة من جميع هذه المميزات وأنه لم يأتي بأي شي جديد فقط أنه عرف هذا البدوي خصائص هذا الموضع وساكنية أن أستطاع الاندماج مع هذا المجتمع الجامعيني الفيحائي وأن يرسخ نواة حضرية ثانية بجانب الاولى ويشيد عناصر هيكله العمراني وان يطغى اسم المكان على اسم العلم واصبحت الحلة ونسي الجامعين ,وهكذا البحث في مواكبة التوسع العمراني للمدينة لغاية الوقت الحاضر ,أن البحث عبارة عن تداخل في الدراسة ما بين التاريخ والمكان وما نجم عنهما بما يسمى بالحيز الحضري.

موضع الجامعيين

أن الفترة التي ظهرت فيها الإمارة المز يديه غامضة "والمزيد يون يمثلون طابعا خاصا,فهم موجه من البدو امتازوا بقوتهم العسكرية وأسسوا إمارة واسعة استمرت فترة طويلة وعاصرت سلطات عسكرية قوية مثل البويهين والسلاجقة"1 وسيطروا على أهم منطقه في العراق وانشأوا مدينة الحلة,عند موضع سابق لها يدعى الجامعيين وكان أول من عمرها سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي" وقد كان في النيل ,وانتقل إلى الجامعيين موضع غربي الفرات ليبعد الطالب وذلك في 495هجريه"2 وكانت" أجمة فنزل بها بأهله وعساكره وبنى بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وصارت ملجأ وقد قصدها التجار فصارت افخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياته سيف الدولة "3فلما قتل بقيت عمارتها في تلك القصبة أو تلك الكورة أي الجامعيين, فأين موضع الجامعين؟ ومن بناها ؟وغيرها من الاسئله التي تثير الشكوك والغموض عن الجامعيين ,وهذا ما أشار إلية جورج مقدسي في بحثه" حول تناقض الروايات حول فكرة بناء الحلة"4 وسوف نستعرض صور من الغموض عن التلابس ما بين المكانين والذي ظل اغلب المؤرخين يذكرون موضع الجامعين بدون ذكر معلوما ت عن مؤسسها وموضعها الصحيح ووقت بناءها الخ المهم فقد" ذكر ابن لجوزي أن الإمارة المز يديه كانت موجودة قبل سنة 403 هجريه وان مزيدا كان يحمي منطقه سورا في الفرات الأوسط "5,كما أن "دبيسا واجه عصيانا في سنه420هجريه_1029ميلاديه من قبل أبناء عمومته فقام بحمله ضدهم على الجامعيين واحتلها"6, وفي" سنة 446هجريه هجم الخفاجيون على الجامعيين والأعمال الأخرى التابعة لدبيس ونهبوها"6,وفي مكان آخران إمارة" دبيس ضمت كذلك الكوفة وإطرافها والجامعيين وسورا والنيل وإطرافها"7,كذلك إن من الأملاك التي سيطر عليها صدقه" النيل والجامعيين والانبار"8وفي مجال آخران صدقه اتخذ موضع الجامعيين مركز له بدلا النيل وفي سنه 495(1101م)قام ببناء أو تعمير الحلة التي هي الجامعيين وفي حين يذكر ياقوت إن موضع الجامعين احمه تأوي أليها السباع والابتعاد عن المشاكل وإنها موقع استراتيجي يصعب الوصول إليه ولذا فهي مدينه حصينة,وهذا رأي ذهب إليه كذلك "الدوري في

أن اختيار صدقه الجامعين المنطقة التي كانت آنذاك قد تحولت إلى أجمة بفعل الحروب وان اختياره بشكل خاص جانبها الواقع على ضفة الفرات الغربية يشير إلى إن الآجام كانت من الأماكن المفضلة للثوار"9 وأعتقد" إن العقليون كانوا ضامنين لمناطق أخرى من الفرات الأوسط قبل مجئ المزبدين مثل الكوفة والقصر والجامعين"10 وكانت" سورا من مدن الكوفة وفيها دار للخراج وعمال وقاض"11 ,واعتبر المقدسي" الجامعين من مدن الكوفة ,وكانت تضم منبرا صغيرا وهو من الشروط التي يجب توفرها في المدينة ولهذا اعتبرها ياقوت كوره ومدينه الحلة قصبة لها"12,ووردت كلمة الجامعين بأنها مثنى لكلمة جامع لهذا يبدوا إن أصل موضع الجامعين كان يضم جامعين أحدهما في الضفة الغربية واخرفي الضفة الشرقية,وقد ذكر البلاذري إن خالد ألقسري" حفر نهرا سماه نهر الجامع واتخذ بالقرب منه قصرا باسمه ولما كان هذا النهر في منطقه الكوفة"13 ربما كان النهر قريبا من بقعة الجامعين أعلاه منها ,ويذكر اليعقوبي" التقاء جيش المأمون بأبي السرايا في موضع يقال له الجامع بين بغداد والكوفة "14,وفي سنة 196هجرية" وجه الأمين جيشا إلى قصر ابن هبيره شجعهم على اختصار الطريق إلى فم الجامع وهذا قريب إلى قصر ابن هبيره"15,وفي حين يذكر" سهراب إن نهر سورا يمر بالجامعين المحدث والقديم"16 ,فالجامع القديم ما بني سابقا(والذي على الأغلب يضم الموضع الى الجنوب منه)كما يبدوا من الزاوية إلى الشمال من الجامع القد يم لان النهر يمر به أولا , في حين يذكر" ابن جبيرأن ما جاء في قول الجامعين القديم والمحدث فليس المقصود الحلة أو الجامعين لان الكلام على موضع على نهر دجلة"17,وفي" البداية والنهاية يذكر أن لا يصيبنا الخلط بين جامع القبيبات والحوض الكبير والذي يسمى الجامعين في دمشق"18,وجاء في" بغيه الطلب في تاريخ حلب وقلنا بأرض الجامعين وبابل وقد أفسدت فينا الإعراب والكرد إلا فتنحوا عن دبيس وداره فلا بد إن يظهر الملك العبد "19,وجاء في" طبقات الشافعية بلغ سلامي إلى الفيحاء بين القلعتين وحي الجامعين وجانبيه"20اوفي الكامل "جاء بأن صمصام الدولة أرسل العساكر ومعهم العرب فعبروا الفرات بعدما كانوا في الجامعين"21 وهذا يعني أن قسما من الجامعين تقع في شرق الفرات وهنا يجب التنويه بأن" مجرى الفرات كان قبل عام 1865قبل الميلاد يمر شرق بابل الفرات الرئيسي أي أنه يمر بمدينه سيبار,كوثا باتجاه نيبور إلى الشرق من نهر الحلة الحالي وبعد عام 1865قبل الميلاد ولغاية 627 ميلادية كان الفرات الرئيسي يمر عند الحلة أوفرع بابل أراهتوا[1] لمدة 2000سنة وبعد عام 627ولغاية 1913 تحول إلى نهر بالا كابوس (بالوكات)الذي سماه العرب بعد بناء الكوفة إلى نهر الكوفة أي الفرات"22 وقد سماه بعض مؤرخي العرب بالعلقمي"23[2] وكان يطلق على نهر ألفرات أراهتوا اونهر بابل والذي أصبح فرع ثانوي أطلق علية المؤرخون أسم نهر سورا وأثاره شمال المسيب وسمي سورا الأعلى شمال بابل وسورا الأسفل جنوب بابل وهذا كله الكلام يعني إن الجامعين تقع على شط بابل اراهتوا وليس الفرات الأصلي وإذا ما جاء في الكامل إن الجامعين تقع في الجانب الشرقي من النهر فأنه يذكر في مكان اخربأن" منيع بن حسان اميرخفاجه سارع إلى الجامعين وهي لنورالدوله دبيس فنهبها"24 وهذا شي ء يناقض ماطرحه سابقا علما وحتى لو سلمنا بأن الجامعين مكونة من قسمين في الضفة اليمنى والضفة اليسرىفكيف لقبائل أن تعبر نهرا كبيرا حتى ولو كان فرعا فقد" ذكر

---

[1] شغل الفرات مجرى اراكتوا في العهد السومري ولاتزال اثارالنهرموجوده تحت اسم شط الكار ,وشغل شط الحلة الحالي وشغل مجرى شطالنيل الذي وسعه الحجاج وبنى مدينه النيل عليه تيمنا بنيل مصر وكانت تتفرع منه مجاري اراكتوا وبابل تحت أسماء النرسوونهرسورا,وفيما يذكر أبن لجوزي في كتابه المنتظم في تاريخ الملوك والأمم إن نهر النيل (ربما الفرات الأصلي)قد بدأ ماؤه يغور وذلك في عام 278هجرية(868ميلادية)وفي حين يؤكد قدامةابن جعفر النيل هوسورا الذي تقع علية مدينة سورا وان النهر يتفرع من الفرات مابعد هيت إلى العلقمي(نهرا لكوفة)والاخرسورا...

[2] شط الهندية أوردت النصوص البابلية اسمه ناربالوكات وذكر له اسم اخرالايكلاتوم أما الإغريق فسموه بالاكاباس.

نيبورNebor عام 1765 بان عرض شـط الحلـة مـابين 400- قـدم 135.94 متـر (حاليـا 116قدم)"25 فتصور الحال وقت زيارة أبن جبير للمدينة عام 603(1184ميلاديه),وقد ذكر المقدسـي" إن الجامعين احد مدن الكوفة وهي تقع إلى شمال غرب نهر سورا"26الا أن موقع الجامعين فيه التباس كما نـوه أعلاه بل إن الجغرافي"الفارسي المستوفي القز ويني يجد أن نهر الفرات (الحلة)يقسم الجامعين إلـى قسـمين واغلب البيوت على الضفة الغربية وهناك بيوت قليلة متناثرة على الجانب الشرقي "27وفـي "حـين وضـع Lestrangeالحلة على الجانب الشرقي لنهر سورا "28في حين "جعلها Lasneعلى الفرات"28,ما طـرح أعلاه يظهر بأن الجامعين أقدم من الحلة ولكن أين موضع الجامعين القديم السابق لصدقة هل تراه يحتل جانبي من شط الحلة أي عند الجامعين الحالية في الضفة الغربية للشط والجزء الاخرعند الضفة الشـرقية الممثلـة لمنطقةالكلج ولذا" فالموسوعة البريطانية تؤكد أن اسم الجامعين متأتي من وجود جامعين عند الضفة الشـرقية وأنها ظهرت في القرن العاشر الميلادي في حين ظهرت الحلة في الضفة الغربية في القرن الثـاني عشـر الميلادي(1102),"29 ماطرح أعلاه لايجزم ولاينفي عن موضع المجامعين ولكن قدرا لمستطاع تمكنا مـن تحديد الموضع .

أسم الجامعيين

المْجمع ج مجاميع موضع الجمع أوالاجتماع أو أرض مجمعة ومجمعه ومجمعه مجتمع القوم فيها ولايتفرقون وتأتي الجمع ج جموع جماعة الناس,ولكن الأمر إن أية إشارات تفصليه عن الجامعين تبقي غامضة وإذا مـا وردت في المصادر فهي تأتي مقتضبة وقليله فحتى إن" المستشرق كراتشكوفسكي لم يرد في كتابـه تـاريخ الأدب الجغرافي العربي عن الحلة إلا اشاره أو كلمه من إن المدينة مارس القزويني القضاء فيهـا وحسـب وستفيلد بأن القاضي التنوخي في المخطوطة التي وجدها له وعنوانها الشدة بعد الفرج بأنه مارس القضاء في الجامعين"30 ويبقي الغموض يكتنف الجامعين حيث لاتنقيبات أثريه في الجامعين ولا في الكلـج وكريطيعـة وربما الحصول على بعض المخطوطات في الدول التي خضع لها العراق مثل إيران وتركيا أن نسـتطيع أن نفك إشكال الجامعين والحلة.

وقد يعني المكان الذي يسكنه جماعه أو احد ألائمه الجامعين لفنون العلم فقد ورد مثلا" في طبقات الشـافعية إن القاضي أبو منصور الازدي من ولد المهلب بن أبي صفرة بأنـه احـد ألائمـه الجـامعين بـين الفقـه والحديث"31 أو ما أورده ابن بطوطة" إن الحافظ زين الدين العراقي احـد العلمـاء الجـامعين بـين العلـم والعمل"32 أو إن "الإمام فخر الدين احد الجامعين لفنون العلم أو الجامعين بين العلوم النقلية والعقليةوالفروعية والأصولية "33اوالجامعين" بين علوم الشريعة وسلوك الطريقة وشهود الحقيقة"34 ,و عند "ياقوت في معجـم البلدان يقولون الجامعيين بلفظ المجرور المثنى وهي حلة بني مزيد أخرجت خلقا كثيـرا مـن أهـل العلـم والأدب"35, المهم أن سيف الدولة صدقة بن منصور بن دبيس بن علي بن مزيد الاسدي" لمـا قـوي امـره واشتد ازره وكثرت أمواله لاشتغال الملوك السلجوقية بركياروق ومحمد وسنجر أولاد ملك شاه بن ارسـلان بما تواتر بينهم من الحروب انتقل إلى الجامعين موضع في غرب الفرات ليبعد عن الطالب "36 وذلـك فـي محرم 495هجرية وكانت" اجمه تأوي إليها السباع إلا إن هذا لايكفي فالاجمه جمع أجم واجم واجمات وآجام والذي يعني الشجر الكثير الملتف وتصب في معنى الاجم وآجام أي الحصن"37 ولذا كان اختيـار المكـان الموجود سابقا لأسباب دفاعية تتعلق بالموضع وحيث أن الصراع موجود وقت ضعف سلطه الخليفـة مـابين

السلاطين أنفسهم وما بين الأمراء الذين تتوزع ولائتهم لهؤلاء السلاطين[1] حيث وجد أن" حلته الأولى لاندفع عنه فبني على تل بالبطيحة وعول على قصده أن دهمه عدو أو أمه وان يفتح البثوق ويعتصم بالمياه وبنى منزل يتعذر السلوك إليه وعمر الحلة وجعل عليها سورا وخندقا وانشأ بساتين وصار الناس يستجيرون به ,"38 اظافة إلى مشاكل القبائل العربية للخلافة والسلطة الحاكمة وظروف المد والجزر لهذه الوضعية وظروف ربما تتعلق بمشاكل المياه[2] التي دفعت بني مزيد للبحث عن مكان امن وخصب وحيث الستراتيجيه تتطلب القرب من مركز السلطة المتنافس عليها واختيار موضع يتمتع بتواجد جماعات عانت من سلطه ألخلافه لفترة طويلة من محاربه أفكارها ومذهبها الخ وبما يتمتع به الموضع من حماية طبيعيه حيث يحيط شط الحلة بالمدينة أو الجامعين من جهاتها الشرقية وإحاطتها بالنباتات الطبيعية من جهاتها الأخرى أن شجعت صدقة في اختيار المكان عند الجامعين وكان الموضع نفسه ولكن إلى الشمال من الموقع القديم وقام بوضع أسس بناء مدينته على نفس الأسس السابقة فيها بناء أي مدينه إسلاميه لا كما يفترض البعض بان صدقة لم يلتزم بعناصر المدينة الاسلاميه والذي سوف نتطرق إليه بعد قليل ولنأتي إلى وصف الموضع القديم والحديث للجامعين قبل وبعد صدقة,فالجامعيين القديمة باعتقادنا هي أول المحلات السكنية تمثل موضعا مرتفعا عما يحيطها ويحدها شط الحلة من جهتها الشرقية متعمقا فيها لمسافة ليست بالقصيرة ربما نتصور المسافة التي كان عليها النهر بحدود أكثر من 150 مترا على طول دخوله الحلة اثارة متمثله في الدرجات عند سوق الخضاروعند هذا الحد ممتدا بشكل تقعر اتجاه الداخل باتجاه الربعة أو السنية مارا بمحلة الطاق وحاضنا الجامعين من جهته الجنوبية متمثلا بالدرجات العالية عند مايسمى عقد اللعنبييه قاطعا شارع المعدان من أسفله عابرا منطقه معمل الكوكا كولا والتي كانت سابقا بستان تكونت بعد انحسار ماء النهر وظلت اثاركتوف الشط بتلاله العالية في منطقه النبي أيوب والتي تمتد حتى بمسافة لاتبعد كثيرا عن طريق الدبلة الحالي(شكل1) ,ولو توفرت لنا صور الاقمارالصناعية عن الحلة ومناطقها غير المستغلة لكان بالإمكان معرفه اتجاهات مرور النهرالاصلي والمتغير ولو تم البحث في فحص عن الرواسب النهرية لتححق الكثير عن مجرى النهر ومادمنا في الافتراضات فسوف نستمر في الوصف الجامعين القديمة ليست فيها معالم أو رموز معماريه متمثله في ساحة تجمع السكان (عند الإغريق agoraأو إلforumعند الرومان أو البازار أو تواجد منطقه السوق الرئيسي أو أماكن سكن المتنفذين أو سكن الطبقة الراقية الخ في فقط تتميز بمساكن صغيرة مبنية من مواد تتعرض للتلف بسرعة وباز قه صغيره ضيقه مع توجد أزقه اكبر اتساعا بمثابة شوارع رئيسيه تفضي إلى هذه الازقه التي تشبه الcal-de-sacوهو نظام عربي إسلامي تمتاز به المدن اغلبها وهذه تمثل بمثابة حي سكني فيه محلات سكنيه ولكن بشكل اصغر فالحي هنا يضم عده محلات والمحلة بمثابة إلا زقه أو العكد, إلا انه ومن نافلة القول أن نذكر بان الجامعين القديمة كانت تضم في مكوناتها العناصر الاساسيه في بناء المدينة العربية متمثلا في المسجد أو الحسنيه والمدرسة المتمثلة بالكتاتيب أو الملا والمسكن البسيط(دون عناصره المتمثلة بالحوش والطراروالشناشيل والسرداب والتي ظهرت هذه بعد قدوم صدقة)هذا أضافه إلى الزقاق الواسع الذي يصل إلى هذه المعالم أو العناصر,في حين إن للمدينة لها تركيبا ايكولوجيا يميز هذه الحارات بأن لها تقسيماتها ومداخلها الخاصة وبواباتها وطقوسها وحراسها الليليين ولكل حارة رئيسا مختار إن

---

[1] خاطب الخليفة المستظهر بصدقة ملك العرب واقطعه الانباروددما(قرية على الفرات)والفلوجة

[2] التدهور في إنتاجيه الأرض بدأت منذ فتره الحجاج وخصوصا عندما كان يجبر السكان النبط الأصليين بالإكراه لممارسه الزراعة تحت ظروف قاسيه مما دفعهم إلى الهروب والنزوح لمناطق أخرى وبسبب الظروف السياسية السائدة حينها من قوه وضعف تؤثر على إصلاح الأراضي وكري الانهاروهي نفس الظروف التي مر على آل مزيد وقت صدقه من تدني إنتاجية الأرض واندثار النهرواسباب تتعلق بحسد لصدقه ومكانته وتأليب السلطان عليه عوامل أدت إلى البحث عن بديل جيد.

بعض المحلات السكنية تكون لتمثل وحده شبه مستقلة ولكل محله اسمها الخاص بها حيث انتماء إفرادها لمجموعة معينة مثلما يحدث الآن حيث غالبا ما يكون اسم الحي دالة على مهنة ساكنيه , هذه خصائص الجامعين القديمة والتي لم يبق منها ومنذ تكونها أي تراث معماري بسبب بساطه البناء ومواد البناء التي تتعرض إلى التلف بسرعة مما يعاد بناءها ثم تتهدم ويعاد وهكذا دواليك أضافه إلى عوامل التلف الأخرى المتمثلة بالرطوبة العالية بسبب قرب النهر منها وانتشار حشرة الارضه ناهيك عن العامل الديني الذي يحجم عن الرفاهية والبساطة والابتعاد عن ملذات الدنيا فهي بالتالي أفكار اخرويه الخ هذا بالنسبة للجامعين القديم أما وقت نزول صدقه بأرض الجامعين في 495ه-1101م فأقام عساكره وبني بها المساكن الجليلة والدور الفاخرة وتأنق أصحابه في مثل ذلك فصارت ملجأ وقد قصدها التجار فصارت أفخر بلاد العراق وأحسنها مدة حياة سيف الدولة ,وكان الموضع الذي اختاره صدقة لبناء مدينته وقتها يتمتع بظروف تعطيها نوع من الحماية والإشراف على المناطق المحيطة إضافة الاستفادة من طبوغرافية المكان من التخلص من مياه الإمطار ومياه المرافق الأخرى نحو الاتجاهات الأخرى وخصوصا باتجاه الشط وهذا يدل على إن من اختارا لموضع يتمتع بنظرة تخطيطية وخبرة في اختيارا لمكان من شروطه الطبيعية المتمثلة بالسطح والمناخ ,إن الموضع بالتأكيد سابقا كان اعلي ارتفاعا من الوقت الحاضر وبقيامنا حاليا بدراسة ميدانية للمكان وانحداره وجد أن الموضع كان ينحدر بنسبة 0.064%نحو محلة المهدية وبنسبة 0.83%باتجاه الجنوب,بنسبة 2.22%باتجاه السور الشمالي وبنسبة 1.53%باتجاه النهر, علما ن موضع الجامعين هنا اعلي مكان في المدينة القديمة(شكل2).

عناصر الهيكل العمراني

وتكون متمثله بالمسجد الجامع وقصر الإمارة والسوق والسورالا انه لم يبقي من هذه المعالم حاليا أي شيء, فالسور يحيط المدينة من جانبها الغربي ويطوقها على شكل نصف دائرة واثا ره تمثل شارع المعدان في الجانب الغربي وامتداده شارع العكد الطويل حتى الشط عند محلة الأكراد, أما نصف الدائرة الأخرى فتكون الشط ,وأما قصر الإمارة فقد احتل وسط المنطقة التي اختارها صدقه للسكن وهو يقع في ما يعرف بالمنتخب (شارع الإمام علي) ويعتقد إن المسجد الجامع كان إلى جواره أما موضع الجامع الكبير فليس له علاقة بصدقه وإنما كان يشكل جزء من مسجد الغيبة,وكان السوق يقع بجوار القصر إلى الخلف منه ومن بقاياه السوق المجاور للسوق الكبير متمثلا بسوق المسا بج وسوق الحدادين وسوق الجللجية وسوق الصفا رين وسوق الغزل وخان الحشاشه ,وكانت مساكن الطبقة الغنية على امتداد السوق كذلك الحمامات ألعامه والمرافق الأخرى,ومن الغريب إن صدقه كان أميرا محبا للأدب والشعر يلتقي به العديد من كتاب السير ووصفوا حالته الشخصية وعدالته وعفته الخ إلا أنهم لم يعطوا وصفا لمدينه صدقه بوضعها العمراني : أزقتها ,مساكنها ,طرقاتها ,مرافقها الأخرى ,صناعاتها ,وغيرها من الأمور التي لا تغيب عن بال أي شارح لسيرة اميراو خليفة ,رغم إن" المدينة ظهرت في اوخرالقرن الخامس الهجري بينما هناك مدن سبقتها في التأسيس مثل البصرة والكوفة في مطلع القرن الأول للهجرة واسط في النصف الثاني منه وبغداد في النصف الأول من القرن الثاني وقد يكون عدم الاهتمام بذكرها من كتاب السير إن المدن المذكورة أعلاه قد أنشأت بامرمن خلفاء الدولة الإسلامية وتحت إشرافهم المباشر هو الحال في بغداد أو بأشراف نواب عنهم كما هو الحال بالنسبة للبصرة والكوفةوواسط,,إما الحلة فقد أنشأها أمير محلي "39,ومع ذلك لم يمضي وقت قصير,وهذا أمر غريب, على إنشاء الحلة حتى تفوقت في أهميتها وعمرانها على مدينة أخرى كانت قد أنشأت في العصر الأموي في منطقة الفرات الأوسط وسميت باسم بانيها "قصر ابن هبيرة وغدت في القرن الرابع الهجري اكبر

مدينة بين بغداد والكوفة واشتهرت بكثرة أسواقها ألا أنه ما بدأ القرن السادس الهجري حتى كانت قد انحطت وضعف شأنها بارتفاع شأن الحلة"40,وكانت الحلة تقع على طريق الحج وقربها من بغداد أن أصبحت محطة كبيرة لقوافل الحجاج السنوية التي تجتمع في بغداد من مختلف العالم الإسلامي ثم تتجه إلى مكة تحت إشراف نواب الحكومة مارة بالحلة ,وقد يكون هناك عامل اخرلارتفاع شأن الحلة السريع هو إن الأمراء المزيد يون كانوا على جانب من الفضل والكمال وحب العلماء والأدباء إن جذ ب العديد من "الفقهاء والعلماء والمفسرين والمحدثين والبلغاء (طبعا بغداد فترة اضطراب بين البويهين والسلاجقة)أن ذاع صيت الحلة والنجف من خلال الملابسات بين الاثنين"41 إن أصبحتا ملاذ لذوي الافكاروالعلوم ولاغرابة ان عاش في الحلة في قرن واحد زهاء خمسمائة عالم [1].

خطط مدينة الحلة

يكرر أغلب الكتاب من المؤرخين المسلمين ما كتبه سابقه وهذه ظاهره حينها غير معيبة وبالنسبة للموقع الفلكي وحسب ما أورده الحموي من أن موقع الحلة المزيدية ما بين طول67ْو10\6 وعرض32تعديل,نهارها 15ْدرجه وأطوال نهارها 14و1\4ساعة وهذا ماكرره اغلي المؤرخين, إما التحديد الحالي فهو مابين خط طول 44ْو`26شرقا مع خط عرض 32ْو`29شمالا.

ذكر الرحالة" أبن جبيرالذي زارها في أواخر القرن السادس الهجري (580 ه–1184م بأنها مدينة مستطيلة الشكل ويحيطها بقايا سور ترابي ويحدها الفرات من جهتها الشرقية وعمرانها يمتد إلى الضفة اليسرى للنهر ولكن بشكل محدود, والمدينة فيها دور السكن والأماكن العامة والأسواق الجامعة للمرافق المدنية والصناعات الضرورية,وهي قوية العمارة كثيرة الخلق متصلة الحدائق داخلا وخارجا وفيها جسر معقود على مراكب يربط جانبي المدينة"42 ,"ووصف المدينة كذلك ألقز ويني وأبن بطوطة في منتصف القرن الثامن الهجري (727هج–1326م)ووصفهم لايختلف كثيرا عما أورده ابن جبير"43,فقط في إن الجانب الشرقي من المدينة اخذ في منافسة الجانب الغربي منها خلال عقود قليلة ثم ذكروا امتدادها السريع نحو الشمال والجنوب والى ازدحام السكان فيها وانتشار النخيل فيها وإحاطتها بالقرى والبساتين وما تنتجه من الحنطة والشعير والارزاضافة إلى تربية المواشي والأغنام مما انتشرت مخازن الغلال على طول الضفة اليمنى للنهر وكثرت الخانات لإيواء المسافرين ,أما ذكرمايتعلق بمساحة المدينة وإعداد سكانها فلم يذكروا شيئا أما محلاتها السكنية فقد ذكروا تواجد طائفتين في المدينة هما الأكراد وطائفة تعرف بأهل الجامعين,في حين إن صدقة استفاد من الأكراد في الظروف السائدة آنذاك وأسكنهم في محلة باقي اسمها للوقت الحاضر باسم محلة الأكراد,والظاهران الحلة اقتصرت على هاتين المحلتين ويمكن القول إن اليهود كانوا من سكنة الحلة الأوائل وهم بقايا الأسر البابلي واستطاعوا الانتشار في مدن العراق ومارسوا مهن عديدة وكانت لهم محلات سكنية خاصة بهم (جيتو)واشهرمكان لهم في الحلة هو عكد اليهود وهذا ماذكره الرحالة بنيامين التطيلي الذي توفي في العقد السابع من القرن السادس الهجري ,إما مابعد فترة ابن بطوطة فلم تكن هناك وصف للحالة العمرانية للمدينة خصوصا وان المدينة تعرضت إلى" اكثرمن 22أحتلالا[2] منذ739هجرية وحتى عام 1335هجرية

---

[1] علما مثل محمد ابن إدريس, الشيخ ورام, ومنتخب الدين, وابن نما, وأولاد سعيد و'ل طاووس, وتلامذة المحقق الحلي وغيرهم. ا

[2] تعرضت الحلة من قبل الجلائرين للسيطرة عليها إلى حرب شوارع عنيفة دافعت عن استقلالها فأتخذها الجلائريون قاعدة لهم ضد الغزو التيموري2 في القرن الثامن وبداية القرن التاسع وتكرر الغزو التيموري للمدينة ثلاث مرات ونال المدينة من التخريب الكثير وباتت منقطعة عن المركز بغداد وشجع هذا قبيلة خفاجة القوية المقيمة على أطراف المدينة على الهجوم على الحلة وللمزيد من التفاصيل عن هذا الموضوع مراجعة المصدرالاتي:رؤوف ,عبد السلام "الاسرالحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة ,بغداد ,دارا لكتب والنشر 1992

دخول القوات البريطانية "43,وقد زار المدينة خلال هذه الفترات بعض" الرحالة منهم Parsonsفي عام 1774ووجد إن الحلة توازي في أهميتها بغداد حتى سميت باسم بغداد الصغرى ومع ذلك لم يعطي وصفا لواقعها العمراني إلا انه ذكر بأنها تشتهر بأسواقها الكثيرة وصناعات نسيجية منتشرة على ضفتي النهر وبين بأن القسم الغربي من المدنية يضم 50حانوتا مقابل 3في الجانب الآخر"44 إما" بكنهام الذي زارها في 1816 وجد إعداد حوانيت المدينة بلغ 2626حانوت موزعة على الجانبين وان في المدينة سوقا رئيسا كبيرا له بوابه تطل على الطريق المؤدي إلى الجسر وتتفرع منه شوارع صغيرة وأسواق أخرى كان بعضها متخصص في عرض البضائع أو سلع معينة كسوق العطارين وسوق الخزفيات وسوق الخضار وسوق البزازين"45,ويمكننا,أن نستنتج مراحل ظهور المحلات السكنية في الحلة حسب قدمها كالآتي: الجامعين,الكلج,الكراد,كريطيعة,الطاق,الجباويين,المهدية,التعيس,جبران,الوردية.

الحلة مابين 1913-2003

يعرف التوسع العمراني للمدينة بأنه امتداد عمران المدينة أي امتداد الهيكل العمراني خارج الحدود المرسومة ,ويمكن التعرف على تطور عمران المدينة من خلال التغير في مساحة الجزء المشيد من المدينة بين فترتين ,بين المساحة الحالية وما كانت علية وتكون درجة هذا التوسع مرتبطة بالتطور الاجتماعي والاقتصادي للبلد حيث حالات الركود وعدم الاستقرار تكون سببا في توقف نمو المدينة وتوسعها ,والعكس صحيح ,وبعد قيام الحرب العالمية الأولى سعى الانجليز للاستيلاء على العراق والاستفادة منه بنواحي متعددة(سياسيا ,اقتصاديا,جغرافيا)فأهتم الانجليز بقيام بعض المشاريع المتعلقة بمصالحهم ونالت الحلة نصيبها من هذه المشاريع والمتعلقة بالنقل ,وقد حرم أهلها من استعمال هذه المشاريع فقد انشأ خطا للسكك الحديدية يربط بغداد بالبصرة مارا بالحلة ,ونشوء السكة دفع السكان إلى إقامة عدد من الدور في موقع المحطة واتسعت لتكون منطقة سكنية عرفت بالسكة,ومن نافلة القول إن بداية عملية التنظيم الداخلي للمدينة ونمو الوظيفة الصناعية حدث في فترة الاحتلال البريطاني ,فقد أنشأت معامل الطحين والثلج والتي تركزت في الجانب الكبير منها,والبعض الاخرفي,الجانب الصغير,وقد تم توسيع السوق الرئيسي في وسط المدينة, ,وفتحت شوارع أخرى ,وتوسعت الشوارع القديمة وأقيم جسرا ثابتا بدل جسر القوارب وانشأ جسر اخرشمالي المدينة ,وبني سوق للجزارين وأنشأت بعض المراكز للخدمات التعليمية والترفيهية ومراكز للخدمات الإدارية الجديدة ,ولم تشهد المدينة تغييرا كبيرا في تنظيمها الداخلي خارج حدودها القديمة خلال الفترة 1933-1952 حيث حدث توسع في القسم الشمالي من الطرف الغربي للجانب الكبير والى جنوبه تل الرماد الذي حول إلى حديقة عامة وبجواره بني مستشفى الحلة الكبير (الجمهوري)وتوسعت محلة الجامعين نحو الجنوب الغربي قليلا بإنشاء بعض الدور فيها (محلة الجديدة)وذلك عام 1939,كما أنشأت بعض المشاريع الخدمية كالماء والكهرباء وبعض المباني الحكومية ,وامتد عمران المدينة غربا مع فتح شارع أبي الفضائل عام 1937حيث أنشأت على جانبية المباني السكنية.

وبقيت المدينة القديمة بمحلاتها التسعة حتى عام 1952 تستوعب الزيادة الحاصلة في عدد السكان ألا انه بعد هذا العام شهدت المدينة تطورا في بعض الجوانب العمرانية وتغيرا في النواحي الاقتصادية والاجتماعية كان سببها ارتفاع إيرادات النفط وإنشاء مجلس الأعمار المصرف العقاري ففي عام 1955 أقيمت محلة سكنية جنوب المدينة هي محلة الماشطة وكان التوسع في المدينة على حساب الأراضي الزراعية المحيطة بها فقد

قامت الحكومة ببناء بعض الدور في الطرف الشمالي من الجانب الصغير حي بابل وكذلك الخسروية عام 1957كمات أنشأت مستشفي مرجان الإمراض الصدرية ,إما في الجانب الكبير فقد توسعت المنطقة السكنية إلى غرب محلة الجامعين وحدائق الجبل,كما تم أنشاء عدد من الدور السكنية في محلة القاضية الجديدة ",وأصبحت مساحة المدينة في عام 1959 حوالي 250هكتار"46 ولم تكن هناك معايير في اختيار مواقع المحلات هذه سوى نتيجة إفراز ملاكي الأراضي لأراضيهم وبيعها نتيجة الطلب على السكن ,وخلال هذه الفترة نمت الوظيفة الصناعية نموا مستمرا فأدخلت معامل الحدادة والطحين الفنية وبعض معامل النسيج الميكانيكية الصغيرة وكانت لمساهمة المصرف الصناعي في هذا النمو اثر بين ,ونستطيع إن نقول إن لمجلس الاعمارو انشاء المصرف العقاري والمصرف الصناعي دورمهم في إنشاء العديد من الصناعات خصوصا التي يتطلب وجودها مساحة واسعة إن تواجدت خارج حدود المدينة القديمة وبالتالي الجذب للكثير من السكان وبالتالي بؤر الاستيطان السكان وزيادة الطلب في السوق السكني على الأراضي وهذا يعني توسع المدينة ناهيك عن التحسن في الخدمات وتحسن الوضع الصحي والمعاشي والرغبة في ترك المنطقة القديمة لعجزها في تقديم الظروف المعيشية الجيدة للسكان ,خاصة في دخول السيارة وبقية الخدمات الأخرى,وخلال الفترة 1959-1971حدث توسعا عمرانيا للمدينة في الجانب الغربي اكثرمن الجانب الشرقي ,فظهرت مدينة الثورة على طريق كربلاء عام 1961 وبني حي الحكام والبلدية وحي الطيارة,ثم ظهرت أحياءاخرى مثل حي نادرالاولي في الستينات وتبعة حي نادر الثانية ثم الثالثة في السبعينات ثم حي عمال معمل النسيج ودور مهندسي معمل النسيج ,وفي نهاية الخمسينات وبداية الستينات بنيت مساكن لذوي الطبقة الفقيرة فيما يعرف بالإسكان وهي جزء من مشاريع مجلس الاعماروكانت عملية بناء المساكن هنا تمت وفق معايير سكنية حديثة قامت بها مؤسسة دوكسيادس ,واختير الموقع بشكل يسهل عملية الوصول إلى مركز المدينة وكان الحي السكني يشمل عدة محلات سكنية يحيطها شارع حلقي رئيسي تتفرع منه شوارع داخلية رئيسية ومنها شوارع اصغر اتساعا حتى ينتهي بشوارع مغلقة ,وتتواجد في المحلة مدارس ابتدائية ومدرسة ثانوية واحدة وجامع ومركز صحي وخدمات أخرى مع تواجد المنطقة الخضراء والترفيهية لسكان الحي,والى الجانب الاخرمن طريق الحلة- النجف ظهرت إحياء في فترة الستينات والسبعينات تتمثل بحي الزهراءوحي الشاوي وظهور حي الكوكا كولا جنوبي الجامعين القديمة والممتد على طول الطريق الذي يفصل هذا الحي عن الجديدة ,كذلك ظهر حي المرتضى المقابل لحي الإسكان وظهور حي جمعية المعلمين في الستينات وقبلها حي مصطفى راغب, وفي السبعينات ظهرت إحياء أخرى مثل حي الإصلاح الزراعي وحي الكرامة المحاربين والإمام علي ,إما في الجانب الصغير فقد ظهرت إحياء في الخمسينات والستينيات مثل حي الثيلة وحي البكر لي في الذي توسع في السبعينات والى جانب هذه التوسعات العمرانية السكنية هناك بالتأكيد توسعات في انتشار الصناعات امتداد الطرق الرئيسية وانتشار الاستعمالات التجارية والخدمية وكل هذه تزيد من الضغط والمنافسة مع الاستعمال السكني وبالتالي دفعه إلى التراجع والبحث عن مناطق أخرى علما إن لتطور الخدمات الصحية وتحسن وسائل النقل وتركز الخدمات التعليمية في المركز وبقية الخدمات الأخرى مما دفع إلى المزيد من المهاجرين إلى المدينة وخصوصا الأمر تفاقم بعد الحرب العراقيةالايرانية مما أدى إلى توسع المدينة وظهور إحياء أخرى في الثمانيات والتسعينات واغلب التركز السكني حدث في الجانب الغربي من المدينة (حي العسكريين ,محزيم ,الأساتذة , ,الأكرمين,المهندسين ,وإحياء أخرى توضحها الخارطة المرفقة ,إن مساحة المنطقة المبنية built-up-areaمن المدينة" كان قد تطورمن 100هكتاروهذا قبل عام

1950واصبحت مابين عام1952–1959 بحدود 250هكتـــارثم 1981ثـــم إلـــى 1610هكتارعـــام "47 "1990والى "1907.599هكتارعام2003"48,علما أن المدينة إن اتصف نموها العمراني قبل عام 1971بالعشوائيةوبأفتقاره إلى التخطيط والدراسة المسبقة التي تحدد اتجاهات ومحاور النمو والتوزيع المكاني للأنشطة المختلفة,ولذلك نجد إن مواقع الفعاليات والأنشطة المختلفة تحدد مواقعها بشكل غير مدروس الأمـــر الذي أدى إلى ظهور التنافر بين استعمالات الأرض فيها وعدم وجود التنسيق والتكامل المطلوب بين وظائف هذه الاستعمالات,وبناء على ذلك ظهرت الحاجة الماسة إلى وضـــع تصـــميم أساســـي للمدينة يقود تطورها وينظم استعمالات الأرض فيها وقد اعد أول تصميم للمدينة عام 1971ينظم استعمالات الأرض لغاية عام1995ثم أعقبه تصميم أخرفي عام 1978ينظم اســـتعمالات الأرض لغايـــة 1996هـــذه التصاميم لم تحقق تنظيم استعمالات الأرض بل أنها زادت العشوائية والتضارب مابين الاستعمالات المختلفـــة بل التعدي على مقررته التصاميم وتحويلها إلى استعمالات أخرى وازداد الوضع سوءا بعد عـــام 2003فقـــد اختفت كل مظاهر التخطيط وفي غياب القانون والتشريع تحولت المدينة إلى فوضى في التجاوزات على الأرض داخل المدينة ,ونتيجة الوضع المزري للمدينة تم الاتفاق بين المديرية العامة للتخطيط العمراني التابعة لوزارة البلديات والإشغال العامة مع شركة دارا لهندسة للتصميم والاستشارات الفنيـــة (شـــاعر ومشـــاركوه اللبنانية)على عقد تحديث المخطط الأساس لمدينة الحلة عام 2006وبالمناسبة ذكر أعداد السكان للمدينة كما مبين في الجدول الآتي:49انظرشكل 3و4.

الحله	1947	1957	1965	1977	1987	1997
عدد السكان	36577	54353	84104	181056	217562	258561

شكل رقم (1)
الأسهم الكبيرة اتجاهات شط الحلة
السهم ذي النهايتين السوق القديم
الأسهم باتجاه شمالي ومن لجنوب نحو الشمال الغربي سور الحلة

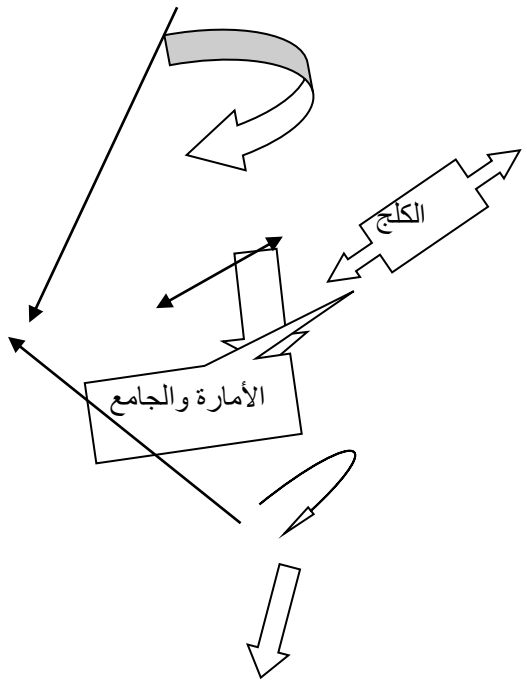

شكل رقم (2)

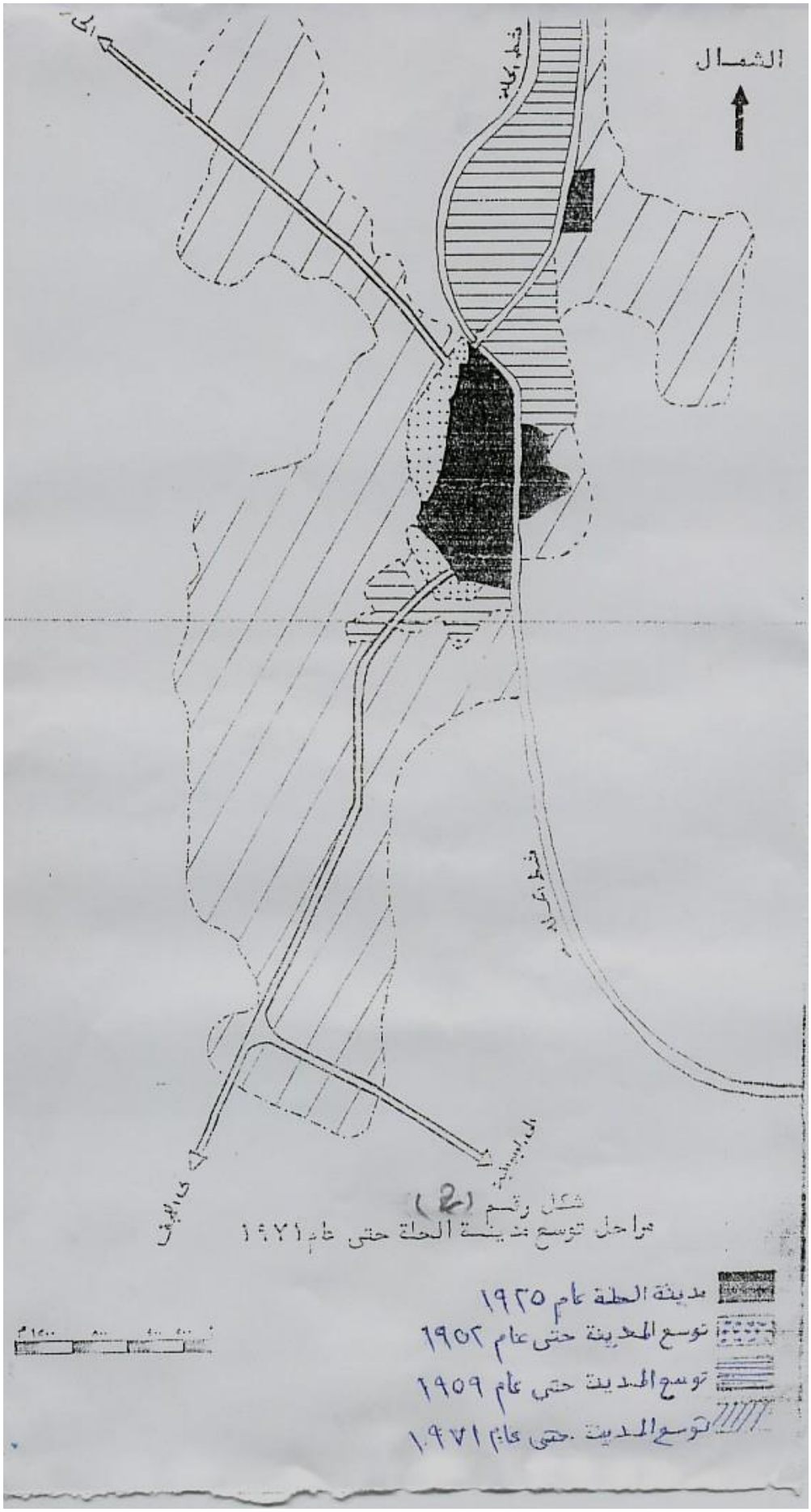

شكل رقم (2)
مراحل توسع مدينة الحلة حتى عام ١٩٧١

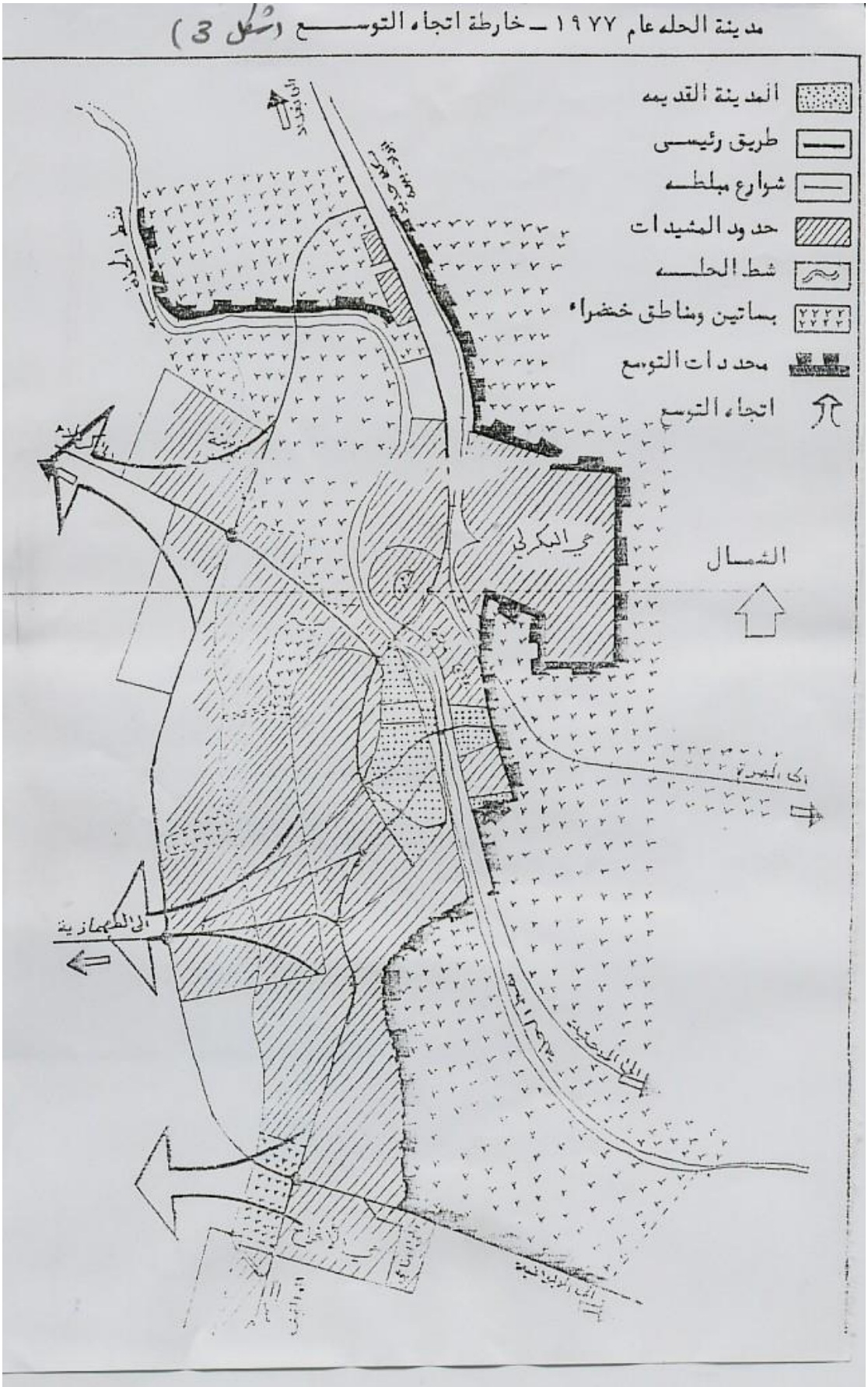
مدينة الحلة عام ١٩٧٧ ـ خارطة اتجاه التوسع (شكل 3)
المدينة القديمة
طريق رئيسي
شوارع مبلطة
حدود المشيدات
شط الحلة
بساتين ومناطق خضراء
محددات التوسع
اتجاه التوسع
الشمال
حي البكرلي
الى المحمودية
الى الطهماز ية

المصادر

ناجي,عبد الجبار"الإمارة المزيدية"جامعة لبصرة ,دار الطباعةالحديثة,البصرة1970ص7.

ألخاقاني,علي"البابليات أوشعراءالحلة"ج1,دار الاندلس للطباعة,بيروت,1964,ص3

العمري,الشيخ ياسين خيرا لله العمري الخطيب الموصلي,منشورات البصري,بغداد,1968ص64

Makdisi,g"Notes on Hilla and Mazayadid "In'Jornal of American Oriental Society ' no.58, pp.249

ناجي,مصدر سابق,63

المصدر اعلاه,79

المصدر أعلاه,82

المصدر اعلاه,109

الدوري,خضر جاسم,نظرات حول ملاحظات جورج مقدسي عن الحلة المزيدية في مجلة آداب الرافدين,كلية الآداب,جامعة الموصل ,العدد 5,حزيران ,1974ص189

ناجي,مصدر سابق,205

مصدرا علاه,ص215

المصدر اعلاه,276

المصدر اعلاه,249

= = = = = =و249

= = = = = =,249

= = = = = =,250

, محمد بن أحمد بن جبيرالاندلسي ابو الحسن , رحلة ابن جبير الجزءالاول, دار الكتاب اللبناني ودار الكتاب المصري,بيروت ,مصر, 1999, ص168

أسماعيل بن كثير القرشي ابو النداء,البداية والنهاية ,الجزء14, مكتبة المعارف ,بيروت,ص116,لاتوجد سنة.

كمال الدين عمربن احمد ابي جرادة,بغية الطلب في تاريخ حلب,الجزء 8,دار الفكر ,بيروت,1988,الطبعة الاولى,المحقق سهيل زكار, ص3740.

أبو بكربن احمد بن محمد بن عمربن , طبقات الشافعية ,الجزء9, عالم الكتب ,بيروت,الطبعة الاولى,1986,المحقق عبد العليم خان,ص421.

محمد بن محمد بن عبد الواحد الشيباني, الكامل في التاريخ,الجزء7 ,دار الكتب العلمية,بيروت,1995 , ص422.

سوسة,أحمد, الري والحضارة في وادي الرافدين ,وزارة الإعلام , 1986-1969 ص204

قدامه أبن جعفر, الخراج وصناعة الكتابة,شرح وتحقيق د.محمد حسين الزبيدي,وزارة الثقافة والإعلام,دارا لرشيد للنشر,1981,ص155

الكامل, الجزء8,ص157 ,المصدرسابق.

"مشاهدات نيبورفي رحلته من البصرة إلى بغداد سنة 1765"ترجمة سعاد هادي العمري,مطبعة دارا لمعرفة,بغداد,1955,ص101

ناجي,مصدر سابق,257
ناجي,مصدرا علاه,257
= = = = = =, 257
الانسكلوبيديا البريطانية2007
كراتشكوفسكي,أوغناطيوس يوليانوفتش,تاريخ الأدب الجغرافي العربي"ترجمة صلاح الدين عثمان هاشم ,جامعة الدول العربية,1957,ص236,327,361,369
طبقات الشافعية,ج2,ص195 , الإسلامية,عمان,1999
صديق بن حسن القنوجي ,أبجد العلوم في بيان أحوال العلوم,الجزء 3,دار الكتب العلمية ,بيروت,1978,ص177.
شذرات الذهب في أخبارمن ذهب,مدقق مرة عبد الحي بن احمد االعكري الدمشقي ,الجزء 4,دار الكتب العلمية ,بيروت,لاتوجد سنة,ص387.
ياقوت بن عبد الله الحموي ابو عبد الله,معجم البلدان,الجزء 2,دارالفكر,بيروت,لاتوجد سنة,ص96.
المصدر أعلاه,ج2, ص294,= =
= = = = = =,ج2,ص294,= = = = = = = = = = = = = = = = = == =
معلوف ,لويس,المنجد في اللغة,الطبعة العشرون,دارا لمشرق ,بيروت,1969
أبن ألجوزي,أبي الفرج عبد الرحمن بن علي ابن محمد بن علي,المنتظم في تاريخ الملوك والأمم ,المجلد 9و10,الدار الوطنية ,بغداد ,1990,ص236
خليل,عمادا لدين,ملاحظات في خطط الحلة حتى 1الحكم الجلائري,في"مجلة آداب الرافدين"جامعة الموصل ,العدد4, 1972 ,ص36
المصدر أعلاه,ص37
الحسني, عبد الرزاق"العراق قديما وحديثا"مطبعة دارا لكتب,بيروت,لبنان,1973, 143
رحلة أبن جبير,ج1,ص168,سي دي مكتبة التاريخ والحضارة الإسلامية,مصدر سابق
رءوف,عبد السلام,الاسرالحاكمة ورجال الإدارة والقضاء في العراق في القرون المتأخرة,دارا لكتب والنشر,جامعة بغداد ,1992,ص287-299
Parsons,A,T.''Asia and Africa'' London, 1808,p140
باكنكهام,جيمس ريموند"رحلتي إلى العراق في عهد الوالي داوود باشا"ترجمة سليم طه التكريتي,منشورات مكتبة النهضة العربية ,بغداد,1984,ص114
الفتلاوي,باسل أحمد "تقويم كفاءة التصميم الأساسي لمدينة الحلة "أطروحة دكتوراه غير منشورة ,مركز التخطيط الحضري والإقليمي ,جامعة بغداد,1988,ص27-28-29
بلدية الحلة, بيانات غير منشورة.
حسابات الباحث
وزارة التخطيط,الجهاز المركزي للإحصاء,نتائج التعداد العام للسكان للسنوات 1947ألى1977